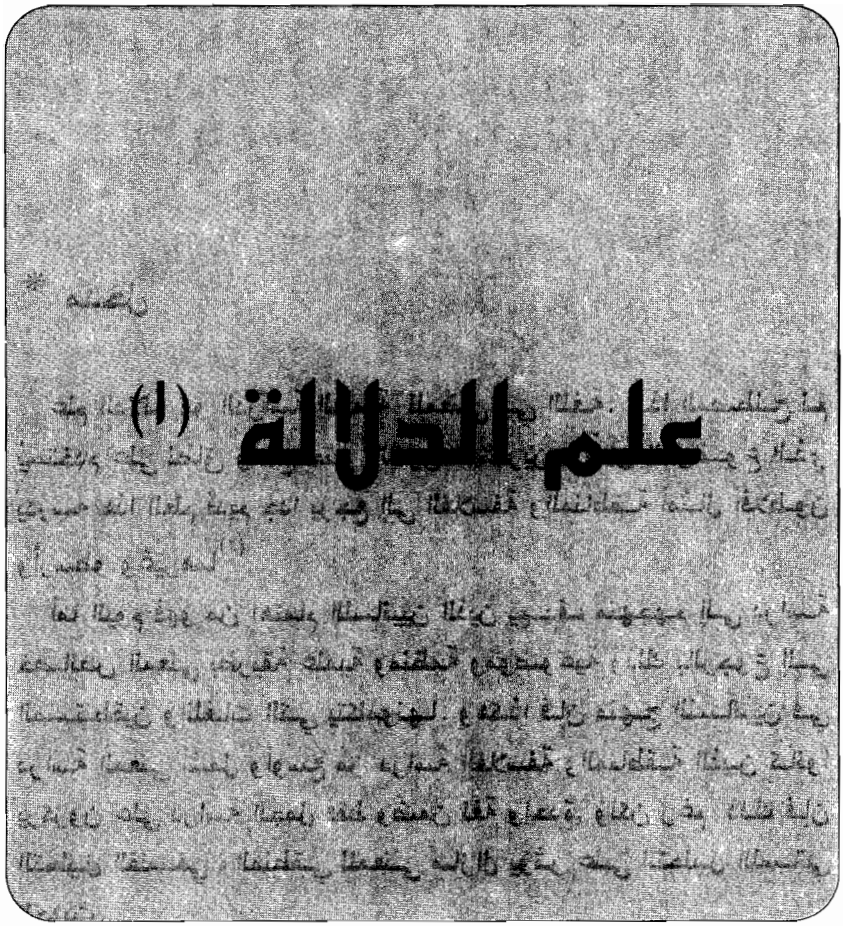

علم الدلالة (١)

ديفيد كرستال

ترجمة وتعليق : مازن الوعر

* مدخل

علم الدلالة هو الدراسة العلمية للمعنى في اللغة. هذا المصطلح لم يُستخدم على نطاق واسع حتى القرن العشرين، إلاّ أن الموضوع الذي يدرسه هذا العلم قديم جداً يرجع إلى الفلاسفة والمناطقة أمثال أفلاطون وأرسطو وغيرهما[٢].

أما اليوم فهو من اهتمام اللسانيين الذين يهدف منهجهم إلى دراسة خصائص المعنى بطريقة علمية ومنظمة وموضوعية وذلك بالرجوع إلى المستنطقين واللغات التي يتكلمونها. وهكذا فإن منهج اللسانيين في دراسة المعنى أشمل وأوسع من دراسة الفلاسفة والمناطقة الذين كانوا يركزون على دراسة الجمل فقط وضمن لغة واحدة، ولكن رغم ذلك فإن التحليل الفلسفي والمنطقي للمعنى مازال يؤثر على التحليل اللساني الحديث.

إنّ أي منهج علمي لدراسة المعنى يجب أن يُميّز عن الدراسة العادية الحدسية التي تطورت من خلال الاستعمال الشائع لمصطلح "الدلالة" ولاسيما عندما تعني العامة بالدلالة الطريقة التي من خلالها يمكن للغة أن تنحرف من أجل أن تجعل الناس تائهين عن معرفة المقصود، كأن يقول أحدهم في نقاش ما "إنها مجرد دلالة" وهو يعني بذلك "مجرد كلام" ليس له صلة بأي شيء في عالمنا. إن مثل هذا المفهوم العامي والشائع لمصطلح "دلالة" لا يدخل أبداً في الإطار الذي نتحدث عنه والذي يذهب إلى أن علم الدلالة هو الدراسة العلمية الموضوعية للمعنى في اللغة.

١ ـ معاني المعنى

في الكتاب المشهور والذائع الصيت معنى المعنى (The meaning of meaning) لمؤلفيه أوغدن وريتشاردز (١٩٢٣) هناك حوالي ستة عشر استعمالاً لكلمة معنى وهاكم بعضاً منها:

1. John means to write. (intends = ينوي)
2. Agreen light means go. (indicates = يدلّ)
3. Health means everything. (has important = لها أهمية)
4. His book was full of meaning. (special import = له أهمية خاصة)
5. What is the meaning of life?. (purpose = هدف)
6. What does "capitalist" mean to you?. (convey = تفهم)
7. What does "Cornea" mean?. (refer to in the world = تعني)

إن آخر مثال لكلمة (mean) (أي تعني) هو الذي يركز عليه علم الدلالة اللساني، ولكن حتى هذه الكلمة هي نوع خاص من أنواع السؤال عن المعرفة. إن السؤال ينبغي أن يسأل عن التعريف الذي هو إلى حد ما شكل غير مألوف للإجابة عنه يوجد في المعاجم أكثر من وجوده في الكلام اليومي، هذا الشكل يتضمن "ترجمة" الكلمة الصعبة إلى كلمات سهلة... أي تفسير هذه الكلمة وتوضيحها. إن دراسة خصائص التعريف بالكلمة تشكل جزءاً مهماً من علم الدلالة، ولكن الأهم من ذلك أن علم الدلالة يهتم بدراسة الطريقة التي من خلالها يمكن للكلمات والجمل أن توصل المعنى منطوقاً أو مكتوباً عبر اتصالاتنا اليوميّة.

٢. ثلاثة تصورات للمعنى

أ. كلمات ⟵ أشياء (الكلمات التي تعبر عن الأشياء).

إن وجهة النظر الشائعة تقول: إن الكلمات "تسمّي" الأشياء أو "ترجع" إليها. ويأخذ بوجهة النظر هذه أفلاطون. إن أسماء مثل لندن، بيل، بني، أب تدل على هذا التصور وكذلك الأمر في عدة كلمات وعبارات أخرى؛ كالأسماء التي تدل على الأشياء المعروضة للبيع في المحلات.

ولكنّ هناك عدد كبير من الكلمات في اللغة لا نراها "تسمّي" الأشياء أو "ترجع" إليها كالأفعال: يسأل أو يجد، وكالصفات صعب أو عام، وكالأسماء ثبوتية أو تقليد. والحقيقة أن معظم الكلمات في اللغة تبدو كأنها غير قادرة على أن ترتبط أو ترجع إلى الأشياء في أية طريقة من الطرق.

ب ـ كلمات ← مفاهيم ← أشياء (كلمات تعبر عن مفاهيم بدورها تعبر عن الأشياء) تقوم هذه المعادلة على الربط المباشر بين الكلمات والأشياء. وحجتها في ذلك أن الربط لا يتم إلاّ من خلال استعمال الذهن البشري. فلكل كلمة، حسب وجهة النظر هذه، مفهوم يربط بين الكلمة والشيء الذي تعبر عنه.

وخير ما يصور هذه العلاقة الرسم البياني الذي كان وضعه أوغدن وريتشاردز (١٩٢٣ ص ٩٩):

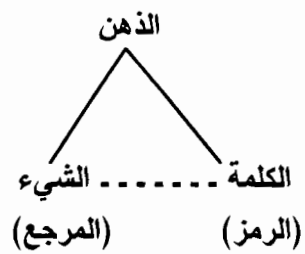

إن النقد الرئيسي الموجّه لهذه المعادلة يأتي من الصعوبة في معرفة ماهية المفاهيم. (Concepts). فليس من السهل إطلاقاً تعريف المفهوم الذي يقع تحت كلمة مثل تقليد. صحيح أن هناك بعض الكلمات التي لها معان يمكن إدراكها ومعرفتها على نحو سهل نسبياً، ولكنه في الوقت

نفسه ليس عندنا صور مرئية منظمة تربط كل كلمة نقولها بالشيء المعبر عنه. أضف إلى ذلك أنه ليس هناك ضمان بأن المفهوم الذي يمكن أن يأتي إلى ذهني عندما أستخدم كلمة طاولة سيكون هو نفسه المفهوم الذي يمكن أن يأتي إلى ذهنك كقارىء!!

جـ. مثير ⟵ كلمات ⟵ استجابة (مثير يُترجم إلى كلمات تكون بدورها استجابة).

لقد شرع بلومفيلد وجهة النظر السلوكية هذه في كتابه اللغة (Language) عام (١٩٣٣). المعنى، حسب رأيه، يمكن أن يُستنتج من الحالة التي يُستعمل الكلام فيها: فالمثير (S) هو الذي يقود المرء لأن يتكلم. فالكلام إذن هو استجابة (r) وإن الإستجابة (R) هي نتيجة الكلام (S). وقد بيَّن بلومفيلد حالة المعنى السلوكية من خلال الصورة:

$$S - - - - \rightarrow r - - - - S - - - - \rightarrow R$$

ومثال بلومفيلد على هذه المعادلة أن الفتاة "جيل" الجائعة ترى تفاحة على شجرة (S = مثير فيزيولوجي) فتسأل الشاب "جاك" أن يقطفها لها (R). إن هذا المثير الكلامي (S) يقود جاك لأن يقطف التفاحة (R = استجابة كلامية). يستنتج بلومفيلد بأننا نستطيع أن نعرف معنى المثير واستجابته من خلال ملاحظة الأحداث المرافقة له.

ولكن المشكلة في معادلة بلومفيلد أن هناك حالات كثيرة من الصعب أن نعرف فيها الملامح النسبيّة للمثير والاستجابة... وتزداد المشكلة عندما تكون الأحداث غير مرئية بالمعنى الفيزيائي (كما هو الحال في التعبير عن المشاعر...) أضف إلى ذلك أنه قد ثَبَتَ علمياً صعوبة معالجة حالات تجد الناس فيها لا تتصرف بطريقة استكشافية كافتراضنا أن "جاك" لم يقطف التفاحة بسبب خصام مع جيل حصل في مونتِ كارلو منذ سنتين... مثلاً.

٣ ـ علم الدلالة الحديث

في الماضي كان الجدال يدور حول اكتشاف ماهية المعنى (ما هو المعنى؟) كمفهوم قائم برأسه. وهذا بالطبع جعلنا نفهم بازدياد طبيعة المشكلة. ولكن ليس هناك حتى الآن تعريف مرضٍ ومقبول "للمعنى"... بل مازال يكتنف هذا المصطلح شيء من الغموض كما كان الأمر عند أفلاطون نفسه.

ولكن لماذا كان مصطلح "المعنى" ومايزال غامضاً وصعباً على التعريف؟!

لقد توصل اللسانيون اليوم إلى أن المعنى ليس عنصراً منفصلاً عن اللغة كبقية العناصر الأخرى، كالارتفاع أو كالطول، التي لها نوع من الوجود المستقل. فإذا قلنا مثلاً بأن الأشياء لها ارتفاع دل ذلك على أن هناك العديد من الوحدات مرتفعة، فإن هذا لا يعني بأن هناك خاصة مجردة للإرتفاع موجودة على نحو مستقل عن الأشياء. وبالطريقة نفسها فإن قولنا: إن الكلمات التي لها معنى يعني فقط أنها تُستعمل في طريقة خاصة في الجملة. إننا نستطيع مثلاً أن نمتحن معنى الكلمات المفردة (منعزلة) ثم الجمل، ولكن ليس هناك معنى من وراء ذلك.

في اللسانيات الحديثة إذن، المعنى يُدرس من خلال التحليل الدقيق للطريقة التي يمكن من خلالها للكلمات والجمل أن تُستعمل في سياقات محددة. هذا الاتجاه أو المنهج يأخذ به العديد من الفلاسفة وعلماء النفس. فالفيلسوف لودوي ويتجنستين (L. Wittgenstein) أكّد ـ على نحو خاص ـ على هذا الاتجاه عندما قال: "إن معنى الكلمة هو في استخدامها في اللغة...".

٤ ـ الإحساس (الذهن) كنقيض للمرجع (الواقع)

علم الدلالة لا يهتم بدراسة العالم الخارجي ولا بكيفية إدراكنا وفهمنا لهذا العالم.

إن العالم الخارجي (غير اللغوي) يقع في دائرة اختصاص الفيزيائيين والجغرافيين وعلماء النفس وآخرين. أضف إلى ذلك أن علم الدلالة لا يستطيع أن يتحمل وزر دراسة كيف ترجع اللغة إلى ذلك العالم الخارجي؟ (أي كيف تعكسه عن طريق الكلمات)، ذلك أن علم الدلالة يدرس فقط الطريقة التي يمكن للجماعات البشرية من خلالها أن تربط الكلمات بعضها إلى بعض ضمن إطار اللغة التي يتكلمونها (أي عن طريق إحساسهم وذهنهم اللغوي لا عن طريق مرجعية هذه الكلمات إلى العالم الخارجي). إن التمييز بين الإحساس والمرجع تمييز مهم ذلك أنه يسمح لنا أن ندرس عدة حالات حيثما استعملنا الكلمات، على الرغم من أنها لا ترجع بشكل طبيعي إلى الطريقة التي تكون فيها في العالم الخارجي. وهذا الشيء يصعب اكتشافه في حالة دراستنا للغة منعزلة فقط.

ولكننا إذا نظرنا إلى اللغات المختلفة التي تحيط بالعالم فإن مثل هذا التمييز يفرض نفسه بلا تحفظ. فعلى سبيل المثال، يوجد في العالم (الواقعي(آباء وأمهات لكل منهم أخوة وأخوات. ولكن لا يوجد في اللغة الانكليزية كلمات مفردة لتعبر عن مفاهيم كأخ الأم، وأخ الأب، وأخت الأم وأخت الأب، فإذا أردنا التمييز بين هذه المفاهيم لابد من الاستعانة بالحالة السياقية "الموقعية"[٣].

وحتى ضمن اللغة الواحدة فإننا نحتاج لأن نميّز الاحساس من المرجع من أجل أن نشرح الطريقة التي تقوم بها اللغة في عملية التقسيم الفيزيائي حيث لا يوجد في الواقع.

والحقيقة أن التصنيفات العلمية الدقيقة (بمعنى أن لكل اسم مكاناً في نظام المفردات) ليست مألوفة في اللغة. ففي الحياة اليومية ترانا نستعمل كلمات مثل: تلة، وجبل، أو فنجان وكأس، أو جدول ونهر، حيث إن هذه المفاهيم في العالم الخارجي غير محددة؛ متى؛ مثلاً، يصبح الجدول نهراً؟ ومتى تصبح التلة جبلاً؟!

وبعبارة أخرى كلنا متفقون حول الحيرة التي تنتابنا حين نريد أن نحدد بالضبط مرجعية كلمة كرسي إلى الأشكال الواقعية المختلفة والمتلونة. وهناك مشكلة أخرى تتلخص بكيفية إجابتنا عن السؤال التالي: ما معنى الكلمة؟ لنتخيل أحد الناس الذين مرت معهم كلمة كرسي وهو لا يعرف ماذا تعني هذه الكلمة؛ إذ إننا نأخذ المرء إلى الكرسي ونؤشر عليه. ولكن هذا سيكون مساعدة محدودة جداً للتعرف على معنى الكلمة، إذ كيف يمكن لهذا المرء أن يعرف أن هناك مرجعيات أخرى وبأشكال مختلفة وكل منها يُسمى كرسياً. ولكن يمكن أن يتولد خطأ ما من هذا الاجراء... فما كنا نؤشر عليه كمرجع لكلمة كرسي يمكن أن نعني به صفة لهذا المرجع (المرجع المصنوع من الخشب مثلاً) أو نعني به مفهوماً يتعلق بالفرش أو الأثاث. إن مثل هذا الخطأ يشبه الخطأ الذي يقع فيه بعض الأطفال الذين يتعلمون مفردات اللغة.

من هنا فإن أفضل طريقة لمعرفة معنى الكلمة هو أن نشرح إحساسنا بها مستعملين تعريفاً مثل "الكرسي": وهو مكان للجلوس مؤلف من أربعة أرجل وخلفية. إن مثل هذا الاستعمال سيجعل المرء يفكر في مرجعيات أخرى تتشابه في خواصها، ومن ثم يمكن أن يستعمل الكلمة بشكل مناسب تماماً. ولكنّ هذه الاجراءات الكلية لتعلّم المفردات ستستمر دون أيّة مرجعية مباشرة إلى الأشياء في العالم الخارجي: ذلك أن هناك اعتماداً كلياً على استعمال الكلمات من أجل شرح إحساسنا حول كلمات أخرى (أي الكلام عن الكلام من أجل المعنى)... وهذا المبدأ سيوصلنا إلى النتيجة المنطقية التي تؤدي بنا إلى استعمال المعجم.

٥ ـ المساحة الدلالية

يهتم علماء النفس بالإضافة إلى علماء اللسان بتأسيس "خواص دلالية" للكلمات المفردة. وقد اقترحتْ مناهج عديدة لايجاد الاختلافات الدلالية ثم قياس المسافة النفسية بين الكلمات.

لقد كان من أوائل الذين خاضوا في هذا البحث عالم النفس اللساني تشارلز أوزغود (C. Os good)، وجورج سوَسي (G. Suci) وبول تانينبوم (P. Tannenbaum). ففي كتابهم "قياس المعنى" (The Measurement of meaning) (١٩٥٧) والذي هو عبارة عن دراسة المعنى المؤثر (أو المتأثر)؛ أي الردود العاطفية المرتبطة بكلمة من الكلمات. فكل كلمة كانت تخضع في دراستهم إلى دعوة "الخلفيات الدلالية" للكلمة، تلك التسمية التي تعكس وجهة النظر الذاهبة إلى أنه من الممكن تحليل المعنى إلى سلسلة من الأبعاد المختلفة. وقد صمم أوزغود أنموذجاً لإجراء هذه التجربة، عبارة عن لعبة تتألف من عشرين سؤالاً يهدف كل سؤال فيها إلي وضع المفهوم في مساحته الدلالية المناسبة، (مثال: هل هذا الشيء جيد أم سيىء؟ سريع أم بطيء صغير أم كبير؟). وقد قُدِّمت الاسئلة على شكل خط بياني مؤلف من سبع نقاط مع وجود صفات متناقضة في كل نهاية من نهايات الخط:

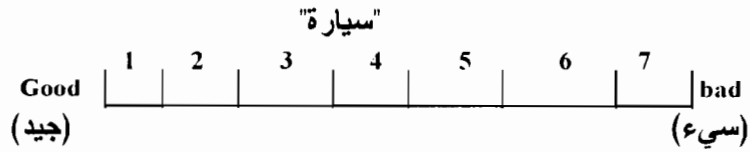

وقد طُلب من الذين سئلوا هذه الأسئلة أن يضعوا الكلمات حسب هذه النقاط. فإذا كانت كلمة سيارة تجعلهم يشعرون بأنها "جيدة" على سبيل المثال، فعليهم أن يضعوا إشارة باتجاه هذه الكلمة... أي في نهاية الخط البياني الأول (إلى اليسار). وإذا كانت تجعلهم يشعرون بأنها "سيئة" فعليهم أن يضعوا إشارة باتجاه هذه الكلمة، أي في هذه الكلمة، أي في نهاية الخط البياني من الجهة المعاكسة (إلى اليمين). وهكذا فإن النقاط السبع تسمح بتنوع درجات الشعور طبقاً للحالة النفسية.

وقد استخدم هذا الأسلوب أيضاً من أجل المقارنة بين مجموعتين ثقافيتين مختلفين. إن كلمة "ضجة" (noise) مثلاً هي مفهوم فعّال وعلى

نحو كبير في المجتمع الياباني، والذي ردَّ (عاطفياً) على هذه الكلمة رداً مختلفاً عن الرد (العاطفي) الأمريكي أو الرد (العاطفي) عند بعض القبائل الهندية ـ الأمريكية. على أية حال إنّ الاجراءات الدلالية لقياس المشاعر تجاه الكلمات إنما هي إجراءات محدودة. فهي لا تقدم معلومات حول المعنى الأساسي للكلمة، إنها تقدم فقط المشاعر التي تولدها الكلمة، فهي تقول مثلاً بأن كلمة أم يمكن أن تكون " جيدة جداً "... "قوية إلى حد ما"... إلخ. ولكنها لا تخبرنا بأن الكلمة تعني "الوالدة... المؤنثة... الراشدة...". وهكذا فلكي نعرف مثل هذه المعاني لابد من طرق أخرى لمعرفة المساحة الدلالية الحقيقية للكلمة. يمكننا الاستشهاد على مساحة دلالية أكثر دقة من خلال استخدامنا نتائج طريقة تقنية يستطيع الناس من خلالها أن يحكموا على الأشياء المشتركة بين الكلمات. لنتصوَر أسماء الحيوانات الثديية تقع في جدول من الجداول حيث أن البعد الأفقي يمثل حجمها وأن البعد العمودي يمثل شراستها.الحيوانات الأكثر حجماً تقع على اليسار في الجدول والحيوانات الأكثر شراسة تقع باتجاه الأسفل. وكلما كان هناك تشابه بين حيوانين كان موقعهما قريباً إلى بعضهما بعضاً.

ولكن مثل هذا التحليل بسيط جداً ومن الصعب تطبيقه على الكلمات حيث إن أبعاد المعنى غير مرسومة بوضوح (كالمفردات المتعلقة بأثاث المنزل أو فرشه على سبيل المثال). على أية حال تبقى هذه الطريقة نافعة وفعّالة لمعرفة مساحة المعنى وأبعاده.

٦ . البنية ومفهوم "الوحدة الدلالية" (Lexeme)

لقد كان المنهج البنيوي من أفضل المناهج لتحليل معنى المفردات. فطبقاً لهذا المنهج فإن اللغة عبارة عن شبكة من العلاقات النظامية التي تربط بين الوحدات اللغوية. ففي مجال الصوتيات مثلاً فإن هذه العلاقات تتجلى بين الأصوات أو "الفونيمات" ذات السمات المميزة المعبر عنها

بالانكليزية بـ (distinctive features)[٤]. ولكن كيف يكون الحال في الدلاليات وكيف ترتبط الوحدات الدلالية ببعضها بعضاً؟

لقد كنا حتى الآن نستخدم مصطلح "كلمة" من أجل مناقشة الظاهرة الدلالية وهذا بالطبع استخدام تقليدي لذلك المصطلح لأننا نستعمله للدلالة على معنى الكلمة، ولكننا إذا أردنا معرفة الظاهرة الدلالية بدقة وعمق فإن مصطلح "كلمة" لا يقدم لنا الجواب الشافي والكافي لمعرفة طبيعة المعنى, من هنا يجب علينا أن نستبدل هذا المصطلح بمصطلح آخر وذلك للأسباب التالية:

(١) إن مصطلح "كلمة" يُستعمل بطرق قد تخفي دراسة المعنى. وهكذا فإن مفردات مثل نمشي (walk)، ويمشي (walks)، والمشي (walking) ومشى (walked) يمكن أن تدعى كلمات مختلفة، ولكنها من وجهة نظر دلالية ـ بنيوية تعتبر كلها أشكالاً متنوعة لنفس الوحدة الدلالية في البنية العميقة أي (مشي)، فإذا اعتبرنا هذه الأشكال المتنوعة كلمات فماذا ندعو البنية العميقة؟! إذا ليس من العدل والمنطق أن نقول إن "هذه المفردات الأربع هي أشكال مختلفة لنفس الكلمة...."!!

(٢) والسبب الثاني هو أن مصطلح كلمة غير ذي جدوى لدراسة التعابير الاصطلاحية (idioms) والتي تعتبر وحدات دلالية.

المثل المشهور حول هذه المسألة التعبير الاصطلاحي (Kick the bucket) والذي يعني مات (died)[٥]. إن هذا التعبير يفرز وحدة دلالية ولكنها مؤلفة من ثلاث كلمات. من هنا فإنه من الصعب أن نعتبر أن هذه الوحدة الدلالية هي كلمة أو أن نعتبر أن هذه الكلمة مؤلفة من ثلاث كلمات.

(٣) والسبب الثالث والأخير هو أننا اعتدنا على استعمال مصطلح كلمة في أماكن أخرى من أماكن الدرس اللغوي كاستعمالنا إياه في حقل القواعد حيث إن الكلمة هنا عبارة عن حلقة وصل أو رابطة بين علم النحو أو التركيب (Syntax) وعلم الصرف (Morphology).

إنّ كل هذه الأسباب جعلت علماء اللسان يفضلون التحدث عن الوحدات الأساسية للتحليل الدلالي بمصطفح جديد وطازج هو الـ (Lexeme) أي "الوحدة الدلالية". وهكذا يمكننا أن نقول مثلاً: إن الوحدة الدلالية مشى (walk) تقع في أشكال متنوعة مثل يمشي (walks) والمشي (walking) ومشى (walked)... إلخ.

ويمكننا بالمقابل أن نقول: إن الوحدة الدلالية (Kick the bucket = مات) تتألف من ثلاث كلمات. من هنا فإن الوحدات الدلالية (Lexemes) هي التي توضع عادة كمفردات رئيسية في المعجم... ويأتي بعدها استعمال المفردات المتفرعة والمتنوعة.

٧. الحقول الدلالية

هناك طريقة، من ضمن طرق عدة[٦] يمكننا من خلالها معرفة معنى المفردات بدقة وشمولية، وذلك ضمن ما يسمى حقول المعنى (Sementic Fields) ففي كل حقل دلالي فإن الوحدات الدلالية تحدد بعضها بعضاً وتتداخل في طرق دقيقة. فعلى سبيل المثال فإن الوحدات المتنوعة لأجزاء الجسم (كالرأس والرقبة والأكتاف... إلخ) تشكّل حقلاً دلالياً. ويتم الشيء نفسه في وحدات مختلفة لكلمات مثل عربات وفواكه. وهذا ما دفع علماء الدلالة للإعتقاد أن كل مفردات اللغة مجمّعة في حقول دلالية. ولكن المشكلة أن هناك تنوعاً كبيراً في هذه المسألة ولاسيما إذا انتقلنا من حقل لغوي معين إلى حقل لغوي آخر ضمن اللغة. من هنا فإنه سيكون هناك صعوبة إلى حد ما عندما نجمع كل الوحدات الانكليزية المتعلقة بـ "أجزاء الجسم" مثلاً. وسيكون من الأصعب أيضاً عندما نفعل الشيء نفسه في وحدات مثل "الضجة" أو "العزف".

والواقع لقد كانت هناك محاولات لسانية وفلسفية عديدة لتصنيف المفاهيم في اللغة وخاصة تلك المحاولات التي تمت في القرن السابع عشر من أجل بناء لغة عالمية.

أما في العصر الحالي فإن أفضل عمل معروف ذي أثر كبير هو العمل الذي قام به الباحث المعجمي بيتر مارك روجيت (١٧٧٩ ــ ١٨٦٩ P.Roget) في معجمه الدلالي (Thesaurus) والذي نشره عام ١٨٥٢م لقد قسّم روجيت الوحدات اللغوية إلى ستة أقسام رئيسية:

(١) وحدات ذات علاقات تجريدية.

(٢) وحدات ذات مساحات دلالية.

(٣) وحدات شؤونية.

(٤) وحدات فكرية.

(٥) وحدات رغبوية.

(٦) وحدات عاطفية ـ مؤثراتية.

إن كل قسم من هذه الأقسام يضم تحته الكثير من التفاصيل والأصناف الفرعية منتجاً حوالي ألف مقولة دلالية.

لقد كان هذا المعجم الدلالي مثلاً يُحتذى به في عدة لغات، وهو برهن على أنه عمل نافع لنشاطات لسانية ـ تطبيقية عديدة مثل الكتابة المهنية والترجمة واستخدام الكلمات في مواضعها الصحيحة... إلخ. أما بالنسبة لعلماء الدلالة، فإنّ قيمة هذا العمل محدودة لأنه لا يقدم معلومات حول العلاقات الحساسة بين وحدتين دلاليتين مزدوجتين مثلاً، ثم إنّ المفردات المصنّفة فيه مجتمعة من عدة عناصر مهنية أو اجتماعية أو جغرافية دون أي تعليق عليها.

وهكذا، وطبقاً لوجهة نظر الدلاليين، إذا أردنا دراسة بنية الحقل الدلالي على نحو دقيق لابد من الالتفات إلى العلاقات الشعورية الحساسة بين الوحدات الدلالية التي نريد استخدامها.

٨. العلاقات الحسيّة للمعنى

كيف تنتظم الوحدات الدلالية في اللغة؟ إذا فكرنا بتنظيمها بالطريقة التي رأيناها عن طريق المعجم، فإن هذا لا يكفي، لأن مثل هذه الطريقة مضللة وغير واضحة. فليس هناك واقع دلالي يقع حسب الرتب الأبجدية، بل على العكس من ذلك، إن الرتبة الأبجدية هي التي تحطم البنية الدلالية لتحتفظ بالوحدات الدلالية التي تنتمي إلى حقل واحد (مثل العمة = الخالة، والعم = الخال).

وهكذا يبدو لعلماء الدلالة أنه لابد من تطوير مفهوم آخر حول المسألة الدلالية. يعتمد هذا التطوير على الحدس الذي يجعل الوحدات الدلالية مرتبطة بعضها ببعض عن طريق الحس (Sense). إن مثل هذا المفهوم المبني على الارتباط الحسي للبنية الدلالية سيعرفنا على أنواع عديدة من العلاقات الحسية بين الوحدات الدلالية منها ما سيدرك من خلال العلاقات التركيبية التلاؤمية (Syntagmatic) ومنها ما سيُدرك من خلال العلاقات الإستبدالية (Paradigmatic) [٧].

والواقع أن هناك أنواعاً عديدة للعلاقات الإستبدالية يمكن ذكر بعضها كما يلي:

أ. الترادف (Synonymy)

ويعني علاقات "التشابه" في المعنى، كما هو الحال في الكلمات التالية: Kingly/Royal/regal (ملكي). والواقع أن البحث في ظاهرة الترادف هي تموين لغوي بحت بشكل أو بآخر إلى حقل التعلّم والتعليم. ولكن يجب أن نتذكر أن الوحدات الدلالية نادراً ما يكون لها المعنى نفسه، ذلك أن كل معنى في الحقل الدلالي الواحد يختلف عن المعنى الآخر أسلوبياً

وجغرافياً وعاطفياً... إلخ. أضف إلى ذلك السياق الذي يحدث فيه هذا المعنى أو ذاك، ذلك السياق الذي يحدد بالضبط تنوع المعنى واختلافه[٨]. والدليل على ذلك أنه يمكن لوحدتين دلاليتين أن تكونا مترادفتين في جملة، ومختلفتين في جملة أخرى. إن الكلمتين (range) و(Selction) تعتبران مترادفتين في جملة مثل:

ما أحسن هذا {التنوع/الاختيار} في الأثاث!!

- What a nice {range/selection} of Furnishings.

ولكنهما غير مترادفيتين في جملة مثل:

هناك سلسلة جبلية

- Ther's the mountain {range/*selection} .

*هناك اختيار جبلي

ب. التجانس Hyponymy

هذا النوع من الدلالة أقل انتشاراً... وهو يرجع إلى مفهوم "الاشتمال" أو "الاندراج" حيث يمكننا أن نقول هنا إن (X) هو نوع من (Y). أي أن الأول (X) يندرج تحت الثاني (Y)، والمثال على ذلك أن الياسمين (Rose) هو من جنس الورود، وان السيارة (car) هي من جنس المركبات أو العربات. أضف إلى ذلك أنه يمكن لوحدات دلالية عديدة (ـ كل واحدة منها تشكل جنساً بعينه ـ) أن تنتمي إلى جنس أكبر.

ينبغي ان نؤكد مرة أخرى أن مثل هذا التحليل هو تحليل لساني وليس تحليلاً للعالم الحقيقي، ذلك أن اللغات البشرية تختلف في تصنيفها للمفردات والجنس الذي تنتمي إليه. ففي اليونانية الرسمية فإن الوحدات الدلالية: نجار وطبيب، وعازف موسيقى وأسماء مهن أخرى تنتمي كلها إلى جنس يسمى (demiourgos) في حين ليس لهذا الجنس أي مقابل

بالانكليزية. فليس عندنا بالانكليزية أي اسم لجنس مهني يسمح لنا أن نقول بأن الوحدات نجار وطبيب وعازف تنتمي إلى ـــــ.

ومن وجهة أخرى فإن الوحدة الدلالية بطاطا هي من جنس الخضروات بالانكليزية ولكن هذه الوحدة (Kertoffel) أي بطاطا ليست ضمن جنس الـ (Gemüs) أي الخضروات باللغة الألمانية[٩].

جـ. التضاد (Antonymy)

يمثل هذا النوع العلاقات الضديّة (العكسية) للمعنى. وقد كان الباحثون يظنون أن مثل هذا النوع ينتمي إلى ما يسمى بـ "الترادف" ولكن الحقيقة غير ذلك. وكما قلنا من قبل ليس هناك مترادفات حقيقية في الواقع. ولكن هناك أنواع عديدة من التضاد. من أهم أنواع التضاد ما يلي:

(١) تضاد متدرج مثل كبير/صغير، جيد/سيء. وهذا التضاد هو الذي يسمح بالتعبير عن الدرجات الدلالية العكسية كأن نقول: كبير جداً ـ أكبر، صغير جداً ـ أصغر ـ صغير إلى حد ما.

(٢) تضاد غير متدرج (أو تضاد متمم)، وهذا النوع من التضاد لا يسمح بالتعبير عن الدرجات الدلالية العكسية مثل أعزب/متزوج، مذكر/مؤنث. فليس من المعقول أن نقول مذكر جداً/متزوج إلى حد ما.

(٣) تضاد معكوس. وهذا النوع ذو وجهين يعتمدان على بعضهما بعضاً مثل يشتري/ يبيع أو والد/ولد.

د. التنافر (Incompatibility)

يقع تحت هذا النوع من العلاقات الاستبدالية مجموعات من الوحدات الدلالية المجمعة والتي هي أعضاء في المقولة الدلالية نفسها، فعلى

سبيل المثال فإن الأحمر والأخضر... إلخ وحدات دلالية متنافرة تقع كلها ضمن جنس اللون. فليس بإمكاننا أن نقول "إنني أفكر بلون واحد هو الأخضر/الأحمر" ومن جهة أخرى، فإن الوحدة الدلالية أحمر ليست متنافرة مع وحدات دلالية أخرى مثل مدوَر. ذلك لأن الشيء يمكن أن يكون أحمر ومدوراً في الوقت نفسه وهذا بالطبع لا يُعدّ تنافراً.

ولكن الاستثناءات اللغوية تجعلنا نتوقع استعمالات شاذة في اللغة الانكليزية حيث نجد أن الأسود والأبيض والرمادي ليست دائماً ضمن جنس اللون كقولنا أفلام الأسود والأبيض.

٩. شركة الوحدات الدلالية

من المفاهيم الدلالية المتطورة والتي لها علاقة بالمفهوم الحسي للمعنى تلك التي اقترحها اللساني البريطاني جيفري فيرت (J. Firth) وأسماها "شركة الوحدات الدلالية". ويقول الرجل:

"ينبغي أن نعرف الكلمة من خلال الشركة التي تنتمي إليها". وقد قال فيرت هذا الكلام منطلقاً من الاتجاه البنيوي للوحدات الدلالية التي تعمل مع بعضها بعضاً على أساس تنبؤي. وهكذا فإن كلمة مثل الشعار تتماشى مع كلمة الشعر، وكلمة الصقر تتماشى مع كلمة الخروف... إلخ.

إن الكلمات المترابطة (Collocation) هي كلمات تنبؤية ينبىءُ بعضها عن بعضها الآخر، فكلمة مرتَب (spick) تنبىء عن كلمة نظيف (span) وكلمة محتار (addled) ترتبط بكلمة عقل (brain).

على أن فكرة الارتباط هذه هي فكرة نسبيَة، ذلك أن هناك بعض الكلمات التي تظهر ارتباطاً متنوعاً ورخواً (غير متماسك)، إن كلمة حرف (letter) ترتبط بسلسلة كبيرة من الوحدات الدلالية مثل: أبجدية

وتهجئة، ومن جهة أخرى فإن تلك الكلمة ترتبط بشكل آخر بوحدات دلالية مثل صندوق البريد وكتابة.

أضف إلى ذلك أن هناك وحدات دلالية ليس لها ارتباط تنبؤي وهي تستعمل على نطاق واحد مثل (have) و(get).

وينبغي ألاّ نخلط بين مصطلح الترابط الدلالي (collocation) وبين مصطلح التداعي بالأفكار (association of ideas)، ذلك أن طريقة عمل الوحدات الدلالية المترابطة لا علاقة لها بتداعي الأفكار، وهكذا فإن الوحدة الدلالية قهوة (coffee) يمكن أن تكون بالانكليزية بيضاء (white coffee) على الرغم من أن لونها بني (brown).

والواقع أن الترابط الدلالي (collocation) يختلف بين اللغات البشرية وقد يكون عائقاً رئيسياً للسيطرة على اللغات الأجنبية. ففي الانكليزية مثلاً، إن المعنى يُعبَر عنه بطريقة تختلف عن الطريقة التي يُعبَر بها عنه بالعبرية كما هو الحال في الجملتين التاليتين:

- we Face problems and interpret dreams (الانكليزية)

- We have to stand in front of problems and Solve deeams (العبرية)

ففي حين نقول في الانكليزية: "نحن نواجه مشكلات ونفسر أحلاماً" فإننا نقول في العبرية: "نحن يجب أن نقف أمام المشكلات ونحل الأحلام".

وفي اليابانية فإن الفعل يشرب (drink) يرتبط بـ الماء (water) والحساء (soup) والوعاء الصغير (tablet) والسجاير (cigarettes) وينبغي أن نعلم أنه كلما كان الارتباط الدلالي ثابتاً اقترب من مفهوم التعبير الاصطلاحي (idiom) الذي يجب تعلمه كوحدة قائمة برأسها وليس كأجزاء متناثرة.

وأخيراً ينبغي أن نميز بين الارتباط الدلالي (collocation) الذي هو شركة دلالية تنتمي إليها كلمات معينة وبين الارتباط الفكري ـ السلوكي (idiosyncratic) الذي يربط الأفكار فيما بينها ربطاً فكرياً ـ سلوكياً.

١٠. عالميات اللون ووحداته الدلالية

مايزال مفهوم "اللون" يشكل موضوعاً صعباً وغامضاً، ذلك أن هذا المفهوم لا يعرف الحدود الواقعية. وهذا ما جعل علماء الدلالة يهتمون به على نحو خاص لأنه يُعدّ شاهداً واضحاً على الاستعمالات الدلالية المختلفة في بنية اللغة:

ـ ففي الانكليزية هناك إحدى عشرة وحدة دلالية أساسية للون هي الأبيض (white) والأسود (black) والأحمر (red) والأخضر (green) والأصفر (yellow) والأزرق (blue) والبني (brown) والوردي الأرجواني(purple) والزهري (pink) والبرتقالي (Orange) والرمادي (grey).

ـ وفي اللاتينية ليس هناك وحدات دلالية للّونين بني ورمادي إن الوحدات الدلالية التي تعبر عن هذين اللونين ولاسيما في اللغات المتفرعة عن اللاتينية (كالفرنسية) إنما هي وحدات مستقرضة من الفصيلة الجرمانية (الألمانية والانكليزية).

ـ وفي اللغة الهندية ـ الأمريكية نافهو (Navaho) هناك وحدة دلالية واحدة للتعبير عن اللونين بني ورمادي، بالإضافة إلى ذلك، لا تميز هذه اللغة معجمياً بين أزرق وأخضر. ومن جهة أخرى يوجد في هذه اللغة كلمتان للتعبير عن اللون الأسود؛ واحدة لسواد الظلام والأخرى لسواد الموضوعات (مثل الفحم).

ـ وفي الروسية هناك كلمتان للتعبير عن نوعين للون الأزرق هما (Sinhj) و(goluboj). أما الانكليزية فإنها تستعمل كلمات مساعدة للتمييز بين أزرق نيلي (dark blue) وأزرق سماوي (Sky blue).

ـ وفي الهنغارية كلمتان للتعبير عن اللون الأحمر (red).

ـ وفي اليابانية فإن الكلمة (awo) يمكن أن تعني اللون الأخضر (green) أو اللون الأزرق (blue) أو اللون الشاحب (pale)، ويتوقف هذا على السياق (الذي يأتي من خلال وحدات مثل الخضروات (أخضر) والبحر (أزرق) والسحب (شاحب).

ـ وفي بعض لغات غينيا: هناك كلمتان فقط للتعبير عن لونين؛ الأسود والأبيض.

ـ وفي لغة هانونو الفلبينية (Hanunoo) هناك أربع كلمات أساسية فقط للتعبير عن اللون: الأسود والأبيض والأحمر والأخضر.

ـ وفي بعض اللغات (الافريقية كالشونة والباسة) يصعب علينا أن نصف للألوان بالكلمات لذلك لابد من رسم صورة ما لتوضيح ذلك التصنيف:

الانكليزية	نيلي	أرزق	أخضر	أصفر	برتقالي	أحمر
السنونة	سيبووكا	سيتيما	سيسينا	سيبووكا		
الباسة	هـــــوى		زيـــــزا			

لغتان أفريقيتان

وهكذا نرى أن الاختلافات بين مصطلحات اللون في اللغات المتنوعة مسألة مذهلة. وهذا يقودنا إلى الاستنتاج بأن كل لغة لها نظامها المنفرد في طريقة عشوائية خالصة. ولكن الدراسة التي قدمها الباحثان بيرلين (B. Berlin) وكاي (P. Kay) عام ١٩٦٩ تثبت عكس ذلك الاستنتاج. فبعد درسة أنظمة اللون في ٩٨ لغة استنتج هذان العالمان بأن هناك مجموعة مكونة من أحد عشر لوناً تستعملها جميع اللغات البشرية.

والواقع أن هذا الادعاء هو ادعاء نسبي ذلك لأنه يحتمل الجدل والمناقشة.

إن الحصول على مدونة معتمدة وصحيحة من المتكلمين للغتهم الأم يخلق مشكلة منهجية، ولاسيما إذا كان حكمهم مبنيا على لغات أخرى

كانوا قد اطلعوا عليها. أضف إلى ذلك أن هناك بعض اللغات التي لها اثنا عشر مصطلحاً أساسيا كاللغة الروسية مثلاً.

على كل حال لقد أثبت بحث هذيْن العالميْن بعض التشابهات الهامة في سلسلة طويلة من اللغات العالمية.

١١. مقارنات في ألفاظ القرابة Kinship contrasts

لقد درس الباحثون حقلاً دلالياً آخر يُسمى "مقارنات القرابة" وقد وجدوا أيضاً اختلافات مهمة بين اللغات البشرية:

ـ فالهنغارية لم يكن فيها مصطلحان لـ أخ أو أخت حتى القرن التاسع عشر على الرغم من أنه يوجد فيها مصطلحان منفصلان واحد لـ أخ (كبير وصغير) والآخر لـ أخت (كبيرة وصغيرة).

ـ والماليزية فيها مصطلح واحد لـ ابن العم والأخ أو الأخت.

ـ وفي السويدية ليس هناك مصطلح واحد لـ جد أو جدة، بل هناك الجد (أب الأب) (farfar) والجد (أب الأم) (morfar) والجدة (أم الأم) (mormor).

ـ وفي إحدى لغات استراليا، هناك بعض المصطلحات التي تعبر عن أجيال متباعدة. فالمرء يمكن أن يستعمل (maili) ليعبر عن الجد (أب الأب) وعن الأخت (زوجة ابنها)، وكما نرى فإن المفهومين متباعدان.

ـ وفي اللاتينية فإننا نميز بين أخ الأب (العم) وأخت الأب (العمة) وأخ الأم (الخال) وأخت الأم (الخالة) وبالمقابل فإن اللغات الجديدة قلصت هذه المفاهيم لتحصرها في مصطلحين اثنين هما (uncle) العم والخال و(Aunt) العمة والخالة، كما هو الأمر بالفرنسية.

١٢. أسماء الإشارة والضمائر (deixis)

وقد درس الباحثون أيضاً أسماء الإشارة والضمائر وكيفية توزعها في اللغات البشرية. فالشروط التي تتحكم باستعمال هذه المصطلحات لفتت انتباه الباحثين في علم الدلالة، وقد وجدوا أن كل لغة من اللغات فيها مجموعة من المصطلحات تُعرف من خلال الرجوع إلى وضع المتكلم في مكان وزمان معينين تقع هذه المجموعة ضمن أنواع رئيسية ثلاثة:

ـ إشارات وضمائر شخصية مثل أنا وأنت، وتدل على الإنسان الذي يتكلم أثناء الحديث.

ـ إشارات وضمائر علائقية، وهل تميز بين وضع المتكلم وعلاقته بالآخرين من الناس والأشياء مثل هذا وذلك وهنا وهناك، ومثل اجلب وخذ واذهب. إن مصطلح "تعال" مثلاً ينبئ بالتوجه نحو المتكلم... (come here) أي تعال إلى هنا، وليس اذهب إلى هنا (go here).

ـ إشارات وضمائر زمنية تميز الوقت وذلك بالرجوع إلى المتكلم مثل: الآن والبارحة وعندئذٍ، أو الرجوع إلى عدة أنواع من علامات الزمان.

١٣. الاشتراك اللفظي (Polysemy or Homonymy)

الاشتراك اللفظي[١٠] يعني أن للمصطلح (lexeme) أكثر من معنى. فعلى سبيل المثال فإن الوحدة اللغوية chip تعني قطعة خشب أو طعام أو دائرة الكترونية[١١]. والواقع أن متكلمي الانكليزية لا يرون أية مشكلة حول قولهم: إن لكلمة (chip) عدة معان مختلفة.

ـ إن مصطلح (homonymy) يعني أن هناك كلمتين أو أكثر (lexmes) لهما نفس الشكل اللغوي مثل (bank) التي تعني بناية أو منطقة جغرافية. إن متكلم الانكليزية لا يجد أيضاً صعوبة حول هذه المسألة فهو يقول: إن هذه الوحدة عبارة عن كلمتين مختلفتين.

ـ وإن مصطلح (homophones) الذي يعني المشترك الصوتي هو عبارة عن وحدتين لهما نفس التهجئة الصوتية ولكنهما تختلفان كتابياً ودلالياً ومثال ذلك كلمة (threw) وكلمة (through)[١٢].

ـ وإن مصطلح (homographs) الذي يعني المشترك الكتابي هو عبارة عن كلمة واحدة لها شكل هجائي ـ كتابي واحد ولكن بنطقيْن مختلفين مثل كلمة (wide)، فهي (بالكسر) تعني الرياح (air movement) وهي (بالألف اللينة) تعني الالتواء (bend)[١٣].

هذا التمييز البنيوي والدلالي يبدو واضحاً تماماً، وإن المعاجم اللغوية تعالجه على نحو واضح. ولكن ليس الأمر سهلاً على الباحث الدلالي أن يقرر بالضبط ما الذي يعالجه، ثم إن المعاجم اللغوية تختلف أحياناً في معالجتها لهذا الموضوع هل يمكننا مثلاً اعتبار (table) التي تعني قطعة من الأثاث المنزلي (Furniture) و(table) التي تعني قائمة معينة مُرتّبة لمدونات (arrangement of data) كلمتين مختلفتين؟! أم أنها كلمة واحدة لمعنيين مختلفين؟![١٤].

المعاجم تأخذ بالرأي الأخير وذلك لأن الكلمتين متشابهتان.

ويحتار الباحث الدلالي، من جهة أخرى، عندما يرى أن (pupil) وهو التلميذ في المدرسة (in school) و(pupil) وهو بؤبؤ العين (of the eye) تعاملان على أنهما كلمتان مختلفتان على الرغم من أنهما متفرعتان من اصل واحد[١٥]. على كل حال، يظل الصراع قائماً بين المعيار التاريخي والمعيار الآني الحاضر في معالجة المشترك اللفظي بأنواعه ومستوياته كافة.

١٤. المكوّنات الدلالية (Semantic Components)

هناك طريقة أخرى لدراسة معاني الوحدة الدلالية (lexeme) وذلك من خلال تحليلها إلى سلسلة من "المكونات الدلالية" أو "السمات الدلالية"

(Semantic Featurs)، فالوحدة الدلالية رجل مثلاً يمكن أن تحلَل على اساس أنها راشد، إنسان، مذكر..... إلخ).

هذا المنهج الدلالي كان قد وضعه واستعمله علماء الأنثروبولوجيا من أجل مقارنة المفردات اللغوية في المجتمعات والثقافات المختلفة. وقد طوّره بعدهم علماء الدلالة كإطار عام لتحليل المعنى وتشعباته...

إن كل الأنظمة العلائقية التي ترتبط ببعضها بعضاً يمكن أن تبنى من خلال استعمال مجموعة صغيرة من "السمات الدلالية". فعلى سبيل المثال فإن السمات (راشد/غير راشد) و(مذكر/مؤنث) يمكن أن تستعمل كما يلي:

- رجل: (را شد، مذكر)
- امرأة: (را شد، مؤنث)
- ولد: (غير را شد، مذكر)
- بنت: (غير را شد، مؤنث)

ويمكننا استعمال السمات نفسها في عالم الحيوان كما هو مبيّن في الصورة التالية:

مذكر	مؤنث	غير راشد
١. ثور	بقرة	عجل
٢. خروف	شاة	حمل
٣. خنزير	خنزيرة	خنوص

إن المقارنات في مثل هذا التحليل الدلالي تعقد عادة من خلال استعمال إشارة (+) أو (−) التي توضع في صورة معينة مثل (+ مذكر و − مذكر) أو (مؤنث و ـ مؤنث).

ولتلخيص ما تقدم يمكننا تحليل الوحدات التالية تحليلاً دلالياً كما يلي:

	ثور	خروف	خنزير	بقرة	شاة	خنزيرة	عجل	حمل	خنوص
مذكر	+	+	+	–	–	–	(+/–)	(+/–)	(+/–)
مؤنث	–	–	–	+	+	+	(+/–)	(+/–)	(+/–)

والواقع هذا التحليل الدلالي يصبح أكثر أهمية كلما كانت الوحدات الدلالية (Lexemes) أكثر تعقيداً. لنضرب مثالاً عن بعض المفاهيم الإنسانية للأفعال:

	طبيعي	مسرع	باتجاه واحد إلى الأمام	قدم واحد دائماً على الأرض
يمشي	+	–	+	+
يستعرض	+	+	+	+
يركض	–	+	+	–
يعرج	–	–	+	+

من خلال استخدامنا هذا التحليل الدلالي يمكننا بسهولة أن نكشف الفجوات الدلالية (Sementic gaps) في لغة من اللغات. فعلي سبيل المثال فإن الصورة المذكورة لا تظهر أي مصطلح (وحدة دلالية) يعبر عن مفهوم الإنسان الذي يستعمل أرجله من أجل التحرك نحو الخلف. ومن جهة أخرى ليس من السهل أن نقرر السمات الدلالية المناسبة للمصطلح فيما إذا كانت تطبق في طريقة مزدوجة (+/–) أم لا: هل الفعل يسبح مثلاً هو [+ مسرع]؟، وهل مصطلح حساء [+ أكل] أم [– أكل]؟

١٥. معنى الجملة

إن دراسة المعنى ستقودنا إلى البحث في درجاته في جسم اللغة كلها، وتثبت في الوقت نفسه صعوبة رسم خط واضح وفاصل حول المكون الدلالي في ايّ إطار لساني، لقد كان الاهتمام في الماضي منصباً على معاني المفردات، أما اليوم فإن علم الدلالة الحديث يهتم بتحليل معنى

الجملة أو على الأقل يهتم بأوجه الجملة تلك الأوجه التي لا يمكن أن تكشفها دراسة الوحدات الدلالية المنعزلة فقط (lexmes).

أ. المعنى الصوتي (العروضي):

وهو المعنى المتولد من طريقة نطق الجملة باستخدام الوجه الصوتي للغة والذي بدوره يغيّر المعنى. إن ايّ تغيّر ملحوظ في التأكيد مثلاً يمكن أن يقود إلى تفسير الجملة تفسيراً ساخناً مستعجلاً. فكل جملة من الجمل التالية لها معنى مختلف يأتي من طريقة استعمال النبر الصوتي مثلاً الموجود بالإنكليزية[١٦].

1. John's bought a red CAR (not a red bicycle)
اشترى جان سيارة حمراء (وليس دراجة حمراء)
2. John's bought a RED car (not a green one)
اشترى جان سيارة حمراء (وليس سيارة خضراء)
3. JOHN'S bought a red car (not Bill)
اشترى جان سيارة حمراء (وليس بيل)

إن المعيار الصوتي يعلمنا هنا المعلومة التي نتعلمها من الجملة على نحو اعتيادي (معنى قديم) ويعلمنا أيضا معلومة خاصة عن تلك الجملة (معنى جديد).

ب. المعنى النحوي (التركيبي)

إن المقولات المبنية على التحليل النحوي يمكن أن تُحلل من وجهة نظر دلالية أيضاً. إن جملة مثل:

- Jhon read a book yesterday (جان قرأ كتاباً أمس)

تتألف من: Subject + Verb + Object + Adverbial:

فاعل فعل مفعول به ظرف

ولكن هذه الجملة يمكن تحليلها دلالياً على أنها مؤلفة من فاعل يصوغ فعلاً يقع على الموضوع في زمن معين.

والواقع هناك الكثير الذي يمكن قوله حول "الأدوار الدلالية" Semantic Roles التي تقوم بها العناصر النحوية. إن هذا الحقل يقع بين الدلاليات وبين النحويات.

جـ. المعنى الوظيفي (البراغماتي)

إن الوظيفة التي تفرزها الجملة في الكلام ينبغي أن تؤخذ بالحسبان.

إن المعنى في جملة إنكليزية مثل (There is some chalk on the floor) يبدو واضحاً تماماً ولا غبار عليه (هناك بعض الطباشير على الأرض). ولكن هذا المعنى في بعض الحالات يمكن أن يُفسر على أنه حالة عن سؤال حقيقي: (Have you seen any chalk) أي (هل رأيت أي طبشور؟...) ويمكن في حالات أخرى أن يُفسر ذلك المعنى على أنه أمر ولاسيما عندما يشير المعلم للتلميذ إلى الطباشير على الأرض.

د. المعنى الاجتماعي

إن اختيار الجملة يمكن أن يؤثر بشكل مباشر على العلاقات الاجتماعية بين المتحدثين المشاركين في العملية الاتصالية، ولاسيما الجملة التي لألفاظها علاقة بمفهوم الأدب والخشونة والمسافة... إلخ، والتي بدورها تؤثر على وضعنا ودورنا ضمن الجماعة التي نحن فيها. فعندما يسأل السامع المتكلم عن سؤال مثل: (ماذا تعني عندما تتكلم معي بهذا الشكل؟) فإنه يثير قضايا أكبر من المعنى الذي تفرزه الوحدة

الدلالية وأكبر من المعنى الذي تفرزه الجملة... إنه يثير أسلوباً اجتماعياً معيناً متولداً من طبقة اجتماعية معينة ذات شفرة دلالية معينة.

هـ. المعنى الحملي (الفلسفي)

إن أهم اتجاه في علم الدلالة هو البحث عن معنى الجملة مستعيناً بأفكار متفرعة عن الفلسفة والمنطق.

في هذا النوع من الاتجاه، ينبغي أن نميز بشكل حريص بين الجمل وبين المحمولات (proposition). المحمول هو وحدة دلالية تُعرَّف وتُبيَّن من خلال موضوع الحالة التي نتكلم عنها. هذه الوحدة تصف حالة من الحالات.... وهي تأخذ شكل الجملة الصريحة (declarative) مثل (John loves Mary).

في مثل هذا الاتجاه (الذي من مبادئه دلالة الحقيقة المشروطة) فإن الجمل تُحلَّل من خلال المحمولات العميقة التي تعبر عنها تلك الجمل، وإن هذه المحمولات يمكن فحصها لمعرفة ما إذا كانت حقيقية أم كاذبة وذلك بالرجوع إلى العالم الواقعي (أي علاقتها بالعالم الخارجي).

والواقع أنّ هذه النظريات تخضع للجدال والنقاش وتحتاج إلى خبير في المنطق الشكلي لكي يتم فهمها. ولكنها على أية حال نظريات تسهم إلى حد ما بمستوى معين من الشرح العام حول ملاحظاتنا الدلالية عن اللغة.

١٥. النحو أم المعنى؟

إن الحدود غير الواضحة بين المعنى وبين النحو (المعاني والمباني) هي مشكلة قديمة في النظرية اللسانية. ويمكن الاستشهاد على هذه

المشكلة من خلال جمل نستعملها عادة في طريقة مألوفة، ولكنها تُعد نوعاً متوسطاً بين النحو وبين المعنى.

هناك جمل تقع بين التعبير الاصطلاحية مثل (It is raning Cats and Dogs) (أي إنها تمطر هرراً وكلاباً = كناية عن شدة المطر) وبين النحو الذي يستعمل القواعد اللغوية لانتاج الجمل مثل (The man Kicked the ball) (أي ركل الرجل الكرة = والتي تفرز معنى معجمياً عادياً).

ففي دراسة من الدراسات الدلالية كان قد تمَّ جمع التعابير المستخدمة استخداماً طبيعياً ومرجعياً في اللغة. هذه التعابير مبنيّة على وحدة دلالية واحدة هي (think)، وقد أعطت هذه الدراسة النتائج التالية:

- Come to Think of it...	عندما فكرت بالمسألة فإنني
- What do you think?	ما رأيك؟
- I thought better of it.	توصلت إلى حل أفضل
- Think nothing of it.	لا تعر الأمر انتباهاً
- Think it over.	تمعن بالأمر قبل اتخاذ القرار
- It dosn'T bear thinking a bout	إنه أمر تافه لا يستأهل التفكير
- It thought you knew	حسبت أنك على دراية بالموضوع
- I think So.	هذا ما أراه (من الموافقة على أمر ما)
- What I think is...	ما أراه هو
- I was just thinking a loud.	أفكر بصوت عال
- Who would have thought it?	من كان يخطر له هذا الأمر؟
- Who do you think you are?	من تحسب نفسك؟

لقد برهنت تلك الدراسة الدلالية على أن الناس يحفظون مثل هذه التعابير كجزء من عملية بناء الكلام المتصل المألوف، نطقاً وحديثاً (ذلك أن هذه الظاهرة ليست مُلاحظة في مخالفة الكتابة)، ومن جهة أخرى فقد لاحظت الدرسة أن هذه الصيغ الجملية المألوفة والمتسلسلة ليست صيغاً ثابتة في بنيتها كما هو الحال في التعابير الاصطلاحية المسكوكة والثابتة

(idions)، ثم إن معناها أن يُعرف من خلال الوحدات الدلالية المرافقة لها (lexemes).

النتيجة: إن هناك استعمالاً لوحدات لغوية تقع بين العملية النحوية التي تركز على أنواع الجمل المنتجة وبين العملية الدلالية التي تركز على الاحتمالات التي تنبثق عن المفردات الخاصة المعينة.

الهوامش

- (1) Crystal, David (1989 - P: 100 - 107) The Cambridge Encyclopedia of language. Cambidge University Press.

(٢) لقد كان الفلاسفة اليونان اول من تعرض لمسالة طبيعة المعنى: أهي إلهام أم اتفاق وقد ناقشوها من وجهتين مختلفتين: الأولى: وهي الوجهة الطبيعية (إلهام)، التي أخذ بها أفلاطون والتي تذهب إلى أن هناك صلة داخلية رئيسية موجبة بين الصوت وبين الكلمة التي تدل عليه (أي بين الدال والمدلول). والثانية: هي الوجهة الوضعية (اتفاق)، والتي أخذ بها أرسطو... وتذهب إلى أن مثل هذه الصلة بين الاسم والمسمى هي اعتباطية حتما لأنها وضعت بالاتفاق بين الجماعات التي تستخدم اللغة على كل حال إن هاتين الوجهتين نسبيّتان، فإذا كانت النظرية الطبيعية صحيحة فهذا يستدعي أننا نستطيع أن نعرف معنى الكلمات بمجرد سماعها. وهذا غير معقول، اللّهم إلا في الكلمات التي تدل أصواتها على معانيها كالقعقعة، والصهيل والحفيف، والنباح والعواء... إلخ, حتى إن هذه الأصوات تختلف من لغة إلى أخرى.

أما النظرية الوضعية اتفاق) فهي قريبة من الحقيقة. فهي تلح على صفة الاعتباط بين الكلمات وما تدل عليه من أشياء. وهذه النظرية التي يأخذ بها علم الدلالة الحديث ولكننا لا نستطيع أن نتصور أن اللغة كلها جاءت من الاتفاق الوضعي بين متكلميها على تسمية الأشياء... إن مثل هذا الاجراء يقتضي وجود شكل مسبق للغة قبل وجود الإنسان الذي اعتمد فيما بعد على هذا الشكل. [المؤلف].

(٣) وهذا يختلف طبعا عن اللغة العربية التي تعبّر عن هذه المفاهيم بكلمات مختلفة. فأخ الأم هو الخال، وأخ الأب هو العم، وأخت الأم هي الخالة وأخت الأب هي العمة. [المترجم].

(٤) كأن نقول مثلا: إن فضيلة الميم على الباء هي إن الصوت الأول (+ غنة) وأن الصوت الثاني (- غنّة)، فاللغة هي السمة المميزة للميم على الباء. [المترجم].

(٥) يطابق هذا التعبير الاصطلاحي ما تعبر عنه اللغة العربية بـ "فلان أعطاك عمره" أو "فلان انتقل إلى الرفيق الأعلى" أو "فلان انتقل إلى جوار ربه" واخيراً وليس آخراً "فلان انتقل إلى رحمة الله" والتي كلها تعني مات. [المترجم].

(٦) كان أول من وضع المنهج اللساني المطبق على الحقول الدلالية هم الباحثون الألمان وذلك في الثلاثينات من هذا القرن وبالتحديد عام ١٩٣٠. ففي إحدى الدراسات المبكرة التي قام بها ج. تريير (J. TRIER) عام ١٩٣٤ نراه يُظهر الكيفية التي من خلالها يمكن للحقل الدلالي أن يتغير ويتطور عبر الزمن. إن مفردات اللغة الألمانية في العصر الوسيط مثلاً قد تغيرت كثيراً مئة سنة كالمفردات التي لها علاقة بـ "المعرفة". ففي عام ١٢٠٠ لم يكن في الألمانية وحدة دلالية منفصلة (كصفة) لكلمة "ذكاء" ولكن بعد مئة سنة من ذلك التاريخ تطورت المفردات وتشعبت المعاني. [المؤلف].

(٧) نعني بالعلاقات التركيبية ـ التلاؤمية (Syntagmatic)، علاقة العنصر اللغوي مع العناصر الأخرى في مجال اللغة الذي يقع فيه. في حين تعني الاستبدالية (Paradigmatic) علاقته مع العناصر التي قد يستبدل بها أو يقوم مقامها. فمثلا لو تأملنا الجملة "The cat is on mat" لاستطعنا التحدث عن علاقة تلاؤمية بين كلمتي "cat" و"mat" ولكن لو قارنّا هذه الجملة بـ "The dog is on the mat" لكنّا أمام علاقة استبدالية بين كلمتي "cat" و"dog". لمزيد من التفصيل انظر علم الدلالة. ف.ر. بالمر ترجمة دكتور صبري ابراهيم السيد (١٩٨٦ ص ١٤٣). [المترجم].

(٨) لقد بحث العرب القدامى في ظاهرة الترادف وكان لهم آراء وتصورات حول هذه الظاهرة. فمنهم من أيّد الترادف ومنهم من لم يعترف به. ويهمنا هنا أولئك الذين لم يعترفوا به. وحجتهم أن لكل معنى سياقه وأسلوبه وجغرافيته واجتماعيته ثم موقعه اللغوي. ومن أشهر هؤلاء الباحثين الجاحظ الذي فرّق بين الكلمات المترادفة أسلوبيا وعاطفيا وجغرافيا وصوتيا (عروضيا).

وهكذا فالغيث غير المطر في نظره ذلك لأن لكل معنى من هاتين الكلمتين سياقه وموقعه وبالتالي اختلافه على الرغم من أن الكلمتين مترادفتان فالمطر سياقه الغضب والغيث سياقه الرحمة... إلخ.

لمزيد من التفصيل انظر: البيان والتبيين للجاحظ. المجلد الأول (ص ٢٠ و٢٥٠). تحقيق عبدالسلام هارون. [المترجم].

(٩) تتجلى هذه الظاهرة في مملكة الحيوانات على نحو واضح، فالحيوان وحدة دلالية غريبة بالانكليزية ذلك لأن هذه الوحدة تستخدم في ثلاثة مستويات هرمية:

أ ـ تستخدم في جنس الأشياء الحية، فهي تناقض وحدة دلالية مثل خضروات لتنضم كلمات مثل الطيور والأسماك والحشرات.

ب ـ وهي تناقض وحدات دلالية مثل الطير والسمك والحشرة لتنضم كلمات مثل البشر والوحوش.

جـ ـ وهي تناقض الوحدة الدلالية البشر. وتظهر هذه التناقضات في الصورة التالية:

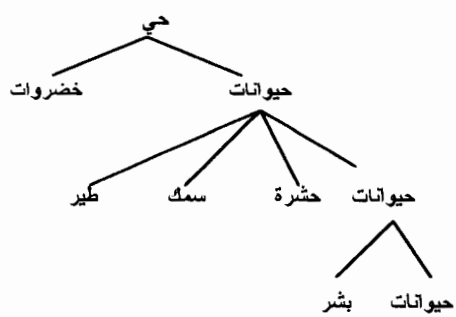

(١٠) الاشتراك اللفظي من الظواهر الموجودة في اللغة العربية وقد بحثها العرب القدامى بحثاً دقيقاً وشاملاً ولاسيما ابن جني في كتابه الخصائص والسيوطي في كتابه المزهر وغيرهما كثير ممن ألفوا في هذا الضرب من الفن. [المترجم].

(١١) يقابل هذا في اللغة العربية كلمات كثيرة لها أكثر من معنى مثل كلمة عين. فهي تعني العين الساحرة، وعين الإنسان، وعين الماء. وعين الحاكم وفرض عين... إلخ. [المترجم].

(١٢) ظاهرة المشترك الصوتي منتشرة في اللغة العربية على نحو كبير، ومن أمثلتها: ما انقطع ومن قطع؟، جاري و جار. [المترجم].

(١٣) ظاهرة المشترك الكتابي موجودة أيضاً في اللغة العربية على نحو كبير ومن أمثلتها: الكلام التي تعني التحدث والكلام التي تعني الجراحات والكلام التي تعني الأرض الطيبة. [المترجم].

(١٤) هذه المشكلة مطروحة أيضا على بساط البحث اللغوي العربي ذلك أن الباحث الدلالي يحتار أحياناً في تصنيف بعض الكلمات في خانات دلالية معينة. هل نستطيع اعتبار كلمة ضرب التي تعني القيام بالضرب وضرب التي تعني حسب أو حوسب كلمتين مختلفتين؟! أم أنهما كلمة واحدة لمعنيين

مختلفين؟!. المشكلة عندنا أخف وطأة وذلك بفضل نظرية الجذر العربية التي تردّ كل هذه المعاني إلى جذر واحد هو (ض ر ب). ولكن المشكلة تبقى قائمة منذ أن كان المعنيان لهذا الجذر متباعين (ضرب زيدٌ خالداً ضربة مؤلمة) و(ضرب زيد جدول العشرينات بجدول الثلاثينات) و(ضرب زيدٌ أسداسه بأخماسه). [المترجم].

(١٥) تواجهنا في اللغة العربية نفس المشكلة في كلمة مثل كتب التي تعني القيام بالكتابة وكتب التي تعني فرض. صحيح أن الجذر واحد (ك ت ب) إلاّ أن المعنيين متباعدان (كتب زيد الرسالة) و(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون). [المترجم].

(١٦) هذا المعيار الصوتي الدلالي يقابله في العربية معيار نحوي دلالي، إذ إن المعنى المتنوع هنا يأتي من خلال التقديم والتأخير؛ فعندما اقول (السيارة الحمراء اشترى زيدٌ) فإنني أنفي أن يكون زيد قد اشترى دراجة حمراء.

وعندما أقول (اشترى زيد سيارة حمراءَ) (برفع حمراءُ) فإنني أركز على لون السيارة وذلك من خلال ما اصطلح عليه النحاة العرب بأسلوب قطع الصفة عن الموصوف أي أن كلمة حمراء هنا ليست صفة لسيارة بل هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي (حمراءُ) وعندما أقول (زيدٌ اشترى سيارةَ حمراءَ) فإنني أركز على زيد نفسه لا غيره ذلك لأن الجملة في جواب لسؤال من يسأل: من اشترى سيارة حمراء؟

لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع الكتاب القيم دلائل الاعجاز للجرجاني. [المترجم].

(١٧) المعنى الوظيفي في الجملة العربية متعدد ومتشعب وقد تحدث عنه العرب القدامى ولاسيما الجاحظ والجرجاني وغيرهما. إن الجملة الاستفهامية العربية لا تفرز لنا معنى استفهامياً واحداً فحسب بل تستطيع أن تفرز معاني ذات وظائف مختلفة لا تعتمد على بنية الجملة بقدر ما تعتمد على عوامل خارج هذه البنية كالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والأثنية (العرفية) وأخيراً، وليس آخراً، العوامل السياقية (التي مصدرها النص) ويمكن للمرء أن يستشف ذلك من الأمثلة التالية:

١ ـ أفأنت تنفذ من النار؟ ← النفي
٢ ـ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ← التعجب
٣ ـ هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أيَّ الساقيين الغمائم؟ ← التمني
٤ ـ ألم نشرح لك صدرك؟ ← التقرير
٥ ـ أضاعوني واي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر؟ ← التعظيم
٦ ـ أهذا الذي بعث الله رسولاً؟ ← التحقير
٧ ـ متى نصر الله؟ كم انتظرتك ← الاستبطاء
٨ ـ أين شرق الأرض من أندلس؟ أين أنا منك؟ ← الاستبعاد
٩ ـ أتأكل أو تدخن في شهر الصيام؟ ← الاستنكار
١٠ ـ أهذا الذي يذكر آلهتكم؟ ← التهكم
١١ ـ وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون؟ ← التَسْوية
١٢ ـ ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟ ← الوعيد
١٣ ـ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون؟ ← التهويل
١٤ ـ يا هذا إلى أين تذهب؟ قد ضللت فارجع ← التنبيه
١٥ ـ أيها الطلاب هل أدلكم على مستقبل عظيم؟: تدرسون الرياضيات واللسانيات ← التشويق
١٦ ـ فهل أنتم منتهون؟ ← الأمر

١٧ ـ أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه ←——— النهي

١٩ ـ أما تزورنا فتدخل السرور علينا؟ ←——— العرض

٢٠ ـ هلا أعددت للامتحان عدته؟ ←——— التحضيض

لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع راجع كتاب علم المعنى عبدالعزيز عتيق. دار النهضة العربية ـ بيروت. (١٩٧٤ ـ ص ١٠٤ ـ ١٢٠). [المترجم].

* * *